الأديب

محمّد حلمي الرّيشة

الشاعر محمد حلمي الريشة

رهين البيتين: بيت الريشة وبيت الشعر

وائل أبو صالح*

أولاً: بطاقته الذاتية

ولد الشاعر محمد حلمي الريشة سنة 1958 في نابلس. تعلم في مدارسها الابتدائية والإعدادية والثانوية، لينتقل بعدها إلى جامعة النجاح الوطنية، فحصل في العام الدراسي 1982م على درجة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم الإدارية، ما أهله ليعمل في عدة وظائف في مجال تخصصه، وفي العام 2000 انتقل للعمل في "بيت الشِّعر الفلسطيني" ومقره مدينة رام الله، وقد وفّر له العمل في بيت الشِّعر الظرف الملائم لإنتاج المزيد من أعماله الأدبية من شعر ونثر، وللمشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والدولية، ولتأليف عدد من الكتب، فذاع صيته، وعمت شهرته، فترجمت بعض نصوصه الشعرية إلى اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والبلغارية، والإيطالية، والإسبانية، والفارسية والألمانية.

وتقديرًا لجهوده في مجال الأدب، قامت جامعة عبد المالك السعدي في المغرب بتسمية جائزة الشاعر محمد حلمي الريشة للشعراء الجامعيين الشباب لسنة 2010، كما نال جائزة المهاجر العالمية للفكر والآداب والفنون في ملُبورن في أستراليا في حقل الشعر لموسم العام 2011.

ثانيًا: بطاقته الأدبية

كانت قصيدته الأولى ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد، وقد كتبَ قصيدة بعد ذلك بسنوات في أعقاب قصيدته الأولى، جاء في نهايتها:

* جامعة النجاح الوطنية- نابلس.

"هذِي حِكَايَةُ مَا سَيَأْتِي مِنْ فُصُولٍ فِي حَيَاةٍ مَاكِرَةْ/ "هذِي حِكَايَةُ مَا سَيَأْتِي مِنْ فُصُولٍ فِي حَيَاةٍ مَاكِرَةْ/ هذِي حِكَايَةُ مَا سَيَأْتِي؛ بَيْنَمَا/ مَرَّتْ كَمَا مَرَّ الْهَوَاءُ عَلَى رُخَامِ الذَّاكِرَةْ/ كَانَ اشْتِعَالِي دَهْشَةً لِلشِّعْرِ تَأْسِرُنِي، وَظَلَّتْ/ دَهْشَتِي لِلْآنَ تَصْحَبُنِي إِلَى/ مَعْنَى الْقَصِيدِ بِدُونِ تِلْكَ الْعَابِرَةْ."[1]

كانت قصيدته الأولى التي نشرت في صحيفة محلية غزلية، سببًا لهجوم مدرس التربية الدينية عليه، فحُرِم من عدة حصص متتالية، وكان يومها في الصف الثالث الإعدادي.[2]

ثم انطلق كالسهم، حيث بدأ الشعر يستحوذ بقوة على معظم يومه بنهاره وليله، وكان همّه أن يكتب شعرًا عموديًا، فدرس علم العروض وموسيقى الشعر، حتى لا يترك فسحة لطاعن... ثم تحول إلى الشعر الحر.

وكان في المرحلة الأولى متأثرًا بالمفكر الشاعر عبد اللطيف عقل، وكانت تربطه بأستاذه عقل علاقة حميمة.

كما تعرّف في هذه الفترة المبكرة، أيضًا، إلى عدد من الشعراء الكبار داخل فلسطين وخارجها، ومنهم الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان، كما توثقت علاقاته بالشاعر المصري نجيب سرور، حيث أهدى للريشة أعماله الشعرية كاملة.

وخلال دراسته في جامعة النجاح الوطنية وبالتحديد عام 1980م نشر ديوانه الأول "الخيل والأنثى".

شعر محمد حلمي الريشة حافل بالصور والاستعارات بكل أشكالها وإبداعها، تحتاج إلى جهد في إدراكها، فمن ذلك قوله:

"اُرْسُمْ عَلَى عُنُقِي الدَّوَائِرَ كُلَّهَا أَوْ نِصْفَهَا أَوْ بَعْضَهَا/ وَامْزُجْ رِدَاءَكَ فِي بَرَاءَاتٍ تُكَرِّرُ حَالَهَا../ إِنِّي أَخَافُكَ أَوْ أُحِبُّكْ/ إِنِّي أُحِبُّكَ أَوْ أَخَافُكْ/ "مَا الْأَمْرُ؟" تَسْأَلُنِي،/ وَأَسْأَلُ سَائِلِي المَسْكُوبَ فِي كَأْسِ التَّرَدُّدْ:/ أَخْتَارُ لَوْنَ المَاءِ أَمْ طَعْمَ

[1] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- ج. 2. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص 541.

[2] محمد حلمي الريشة: قلب العقرب- سيرة شعر (قيد الطباعة).

الْعَطَشْ؟/ أَخْتَارُ رِيحَ الصَّمْتِ أَوْ رِيشَ الْجَنَاحْ؟/ أَخْتَارُ عَكْسَ الضَّوْءِ أَمْ وَجْهَ الْغَبَشْ؟/ مَاذَا تُرِيدُ لِتَجْلِيَ الرُّؤْيَا وَتَدْخُلَ فِي إِسَارِي؟"[1]

وقد صاغ كل هذه الصور والاستعارات بلغة منتقاة الألفاظ، بحيث تنقاد له الألفاظ بيسر. جمع الريشة ألفاظ التراث بعد أن نفض عنها غبار الماضي، ونسج منها ثوب الحداثة، وقد تجاوز هذا المزج في شعره، فمنح نفسه لقب "شعريار" وهو لقب يجمع بين التراث والحداثة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أصالة هويته الشعرية.[2]

والريشة فوق كل هذا وذاك، شاعر مثقف، بسط في شعره أحداث الماضي، وإنجازات الحاضر، وما بينهما من عبر وعظات، علاوة على هذا استحضاره شخصيات عربية وعالمية، فنرى فيه صورة "لاورا" محبوبة الشاعر الإيطالي "بتراركا" وغيرها.

"لاَوْرَا"../ هَيْفَاءُ/ شَقْرَاءُ/ بَيْضَاءُ/ فِي الظُّلْمَةِ دَثَّرَهَا اللَّوْنُ الأَسْوَدُ، وَالظِّلُّ الخَابِي،/ لكِنَّ الشَّاعِرَ وَارَاهَا فِي عَطْفِ قَصِيدِهْ/ أَتْلَفَ بُرْقُعَ عَيْنَيْهَا بِسِهَامِ شُعُورِهْ،/ وَامْتَصَّ الرُّؤْيَةَ كَالشَّمْسْ../ فَالنَّظْرَةُ رُدَّتْ لِلأَعْقَابِ بِنَظْرَةْ،/ وَوَحِيدًا كَانَ الشَّاعِرُ يَنْتَهِكُ العِشْقْ،/ وَيَبُوحُ العَالَمَ عَنْ "لاَوْرَا"/ عَنْ سِرِّ الصِّدْقْ."[3]

ولعل القارئ لشعره لا يعدم الرمزية أيضًا، بخاصة وأنه انحاز إلى القصيدة النثرية، وهي مجال طيب لهذه الرمزية، إلا أنه كان يمنح المتلقي مفاتيح تساعده للولوج إلى كنه قصائده، فمن ذلك قوله:

"ذَاتَ أَمْسٍ؛/ سَأَكْسِرُ دَجَاجَةَ الْجَسَدِ الَّتِي تَبِيضُ/ ذَهَبَ شَهْوَةٍ عَلَى مَلَاءَاتِ غَيْرَتِي وَغَيْرِي../ وَذَاتَ غَدٍ؛/ أَطْبَقْتُ ضِفَّتَيْ وَلِيمَتِهَا وَجْهًا لِظَهْرٍ/ إِذْ لَمْ تَزَلْ

[1] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الأول. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص 134-135.

[2] محمد حلمي الريشة: قلب العقرب- سيرة شعر (قيد الطباعة).

[3] المصدر السابق.

نَافُورَةُ المَوَاقِيتِ تَنْزَعُ/ فُوطَةَ نَدَى الدِّفْءِ/ وَتَزْرَعُ رَذَاذَ نَشْوَتِهَا فِي عُلُوِّ عَتْبِي؟"[1]

ولعلّ خير ختام لبطاقته الأدبية ما قاله الشاعر علي الخليلي في شعر الريشة:

"فشعره غير مسبوق في قوته البلاغية، وتفرده الحسي وتجلياته الإبداعية... إن شعر محمد الريشة يتدفق ضمن رؤى واسعة وعميقة على صعد دائمة التطور، ودائمة التمدد في كل اتجاه."[2]

ثالثًا: أعماله الأدبية

كتب محمد حلمي الريشة ما يربو على أربعة عشر ديوان شعر، وما يزيد على عشرين كتابًا توزعت بين الترجمة والابتكار... منها ما وضعها منفردًا، ومنها بالاشتراك، فضلاً عن أعمال الترجمة والمعاجم والدراسات، ولنتوقف عند دواوينه الشعرية، حسب تاريخ صدورها لا حسب تاريخ نظمها، وسوف أقوم بالتعريف بهذه الدواوين مع الإشارة إلى بعض آراء الباحثين والنقاد فيها.

ديوانه الأول: "الخيل والأنثى"

وهو باكورة إنتاج الشاعر، وقد تمّ نشره في العام 1980م، ويشتمل الديوان على قصائد عاطفية وأخرى سياسية وطنية، وهي التي شغلت الحيز الأوسع من صفحات الديوان، ومنها قوله:

"تَحْبَلُ أُنْثَى الْأَحْزَانِ جَهَارًا/ لَا تَأْثَمُ / إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَعِيشُ المَوْتَ/ بِصَدْرٍ مَفْتُوحٍ لِلرِّيحْ،/ فَالْمِيلَادُ عَلَى الطُّرُقَاتِ الرَّمْلِيَّةِ/ يَسْتَيْقِظُ مِنْ حَرِّ الذِّكْرَى،/ وَيَنَامُ غُبَارُ الرِّيحِ/ يُعَشِّشُ فِي بُؤْبُؤِ عَيْنَيّ."[3]

---

[1] محمد حلمي الريشة: كأعمى تقودني قصبة النأي. إصدار خاص بالتعاون مع بيت الشعر في فلسطين، رام الله، 2008، ص51.

[2] محمد حلمي الريشة: قلب العقرب- سيرة شعر (قيد الطباعة).

[3] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الأول. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص58.

الديوان الثاني: "حالات في اتساع الروح"

وهو في مجمله قصائد وطنية، أشار فيها إلى ظلم الاحتلال وبطشه وقهره للشعب الفلسطيني، إضافة إلى تزويره لأحداث التاريخ... وانسداد سبل الخلاص:

"هَلْ تَكْسِرُ الرِّيحُ اشْتِرَاطِيَ أَنْ أَكُونَ كَمَا أَشَاءْ؛/ وَرْدًا لَهُ صِفَةُ الدُّخُولِ إِلَى شُعَاعِ الْعَاطِفَةْ/ بَحْرًا لِأَوْرَاقِ الرِّمَالِ، إِشَارَةً لِلْعَاصِفَةْ/ ضَوْءًا عَلَى شَجَرِ النَّشِيدِ، وَأُغْنِيَاتٍ كَاشِفَةْ/ نَارًا لِأَغْصَانِ الْخَرِيفِ، وَلِلزَّوَايَا الزَّاحِفَةْ/ هَلْ تَكْسِرُ الرِّيحُ اشْتِرَاطِيَ أَنْ أَكُونْ:/ شَبِقًا لِأَحْجَارِ الْحَيَاةِ، أَلُمُّ رُوحًا نَازِفَةْ؟"[1]

وقد نشر هذا الديوان في العام 1992م.

الديوان الثالث: "الوميض الأخير بعد التقاط الصورة"

نشره في العام 1994م، وهو ديوان سياسي وطني بامتياز، وقد استوحى الشاعر عنوان الديوان بعد المصافحة التي تمت بين الرئيس الراحل ياسر عرفات، ورئيس وزراء إسرائيل في البيت الأبيض، والعنوان هو عنوان قصيدة ضمن الديوان، ويبدي الشاعر رفضه لهذا الاتفاق، ومن قصائده نأخذ المقطع الآتي:

"تَتَصَافَحُ الْأَيْدِي، وَلكِنَّ الْقُلُوبْ/ لَيْسَتْ سَوَاسِيَةً كَأَسْنَانِ الطُّفُولَةِ، أَوْ وِلَادَاتِ الْبَرَاعِمْ/ أُسْطُورَةٌ فِي الْوَهْمِ قَامَتْ، ثُمَّ أَمْسَتْ فِي الْخُفُوتِ لَهَا قَوَائِمْ/ تَتَخَيَّرُ الْأَلْفَاظَ، أَمْ تَتَحَيَّرُ الْمَعْنَى إِذَا/ حَفَّتْ حُفَاةً رِقَّةُ الْأَصْحَابِ مِنْ حَوْلِ الثُّقُوبْ.."[2]

وقد درس هذا الديوان، وغيره من الدواوين بسبب مواضيعها، أكثر من باحث وناقد، وعلّق عليه الشاعر الفلسطيني المتوكل طه قائلاً: "وقد كان لاتفاق أوسلو تداعيات وآثار كبيرة، وبالتالي فإن هذه التداعيات الثقيلة سرعان ما ظهرت آثارها، حيث أدرك الشاعر في

[1] المصدر السابق. ص243.

[2] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الأول. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص393.

هذه المجموعة من خلال نبوءة تحسب له، أن ما جرى من توقيع في أوسلو ليس أكثر من حبر/ دم على ورق/ جسد الوطن الفلسطيني الذي تمّت تشظيته وشرعنته الاحتلال."[1]

الديوان الرابع: "أنتِ وأنا والأبيض سيء الذكر"

وقد نُشر هذا الديوان في العام 1995م، والديوان يتحدث عما حدث بعد اتفاقية أوسلو، والنتائج التي ترتبت عليها:

"أُبَاعِدُ عَنْكِ فَدَاحَةَ فِعْلٍ رَأَوْهُ جَمِيلاً/ أُبَاعِدُ عَنْكِ تَسَاقُطَ أَوْصَافِهِمْ فِي الْعَرَاءِ/ الَّذِي أَلْبَسُوهُ شِرَاعَ التَّمَنِّي،/ وَإِنِّي أُغَنِّي؛/ أُغَنِّي إِلَيْكِ بَرَاءَةَ جِلْدِي الَّذِي أَسْعَفُوهُ/ بِدِفْءِ انْكِسَارِيَ مِنْهُمْ/ كَأَسْوَدِ ثَلْجٍ يَلُفُّ إِطَارَ الرُّؤَى الْمُتْعَبَةْ../ فَأَرْجُو: امْنَحِينِي قَلِيلاً مِنَ الرَّغْبَةِ الْمُشْتَهَاةِ،/ وَخَلِّي عَلَى عَادَةٍ لَمْ أَخُنْهَا/ - كَمَا يَفْعَلُونَ انْبِهَارًا -/ وَظِلِّي عَلَى رَاحَتِي الْمُعْشِبَةْ."[2]

فالشاعر عاشق للسلام، والسلام بالنسبة له ثوب جميل، يشتهيه رداءً لفلسطين، يريده رداءً سرمديًا.

وقد انبرى لدراسة هذا الديوان، وغيرة من الدواوين الكثيرة، كثير من الباحثين[3]، أذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور خليل إبراهيم حسونة حيث يقول في قصيدته "أنتِ وأنا والأبيض سيء الذكر" التي تحمل يافطة الديوان: "تداهمنا أفكار الشاعر عبر قصيدته بلغة ثرية قاسية لا تنبثق عن براعة أو ذكاء بل- أيضًا- عن تجربة كيانية لا تهدأ"[4]... وهي

[1] مجموعة من الكتاب: ظلال الرقص- دراسات في شعر محمد حلمي الريشة. المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، 2004م. ص16.

[2] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثاني. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص483.

[3] وردت في هذه الكتب: مراتب النص- قراءة في سيرة محمد حلمي الريشة الشعرية. وظلال الرقص- دراسات في شعر محمد حلمي الريشة. وضفاف الأنثى- سطوة اللحظة وطقوس النص- مقاربات في شعر محمد حلمي الريشة.

[4] د. خليل إبراهيم حسونة: ضفاف الأنثى- سطوة اللحظة وطقوس النص- مقاربات في شعر محمد حلمي الريشة. منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 2005م.

قصيدة رمزية حيث قصد بالضمير أنت فلسطين وأنا هو الشاعر نفسه، والأبيض سيء الذكر هو السلام المزعوم الذي لم يحقق للشعب الفلسطيني شيئًا، فالدبابة الإسرائيلية لا تزال تجوب الطرقات، والجندي الإسرائيلي لا يزال يداهم البيوت ويعتقل أبناء الشعب الفلسطيني.

الديوان الخامس: "ثلاثية القلق"

حيث يشتمل هذا الديوان على مجموعة من القصائد كُتبت خلال السنوات 1986-1990 إلا أن الشاعر طبعها وأصدرها في العام 1995، وهي ثلاثة أجزاء عن ما قبل الانتفاضة الأولى، وخلالها، وما بعدها. والشاعر في الجزء الثالث يكتب قصائد شخصية وذاتية بعد انحسار حلمه بعد تلك الانتفاضة. نقطف من جزئه الأول:

"تَدَثَّرْتُ بِالصَّوْتِ لَمَّا ابْتَدَأْتُ/ فَكَانَ النَّشِيدُ الْوَحِيدُ.. الْوَحِيدُ/ وَكُنْتُمْ تُعِدُّونَ شَكْلَ الْجَنَازَةِ حَيْثُ اقْتَرَبْتُ/ وَتَكْثُرُ أَزْهَارُ هذَا الْعَزَاءِ لَدَيْكُمْ/ وَإِنِّي الْوَلِيدُ.. الشَّهِيدُ/ سُكُونُ السُّيُوفِ يُضَايِقُ صَوْتِي/ وَيَأْذَنُ لِلْمَوْتِ لَوْ يَعْتَرِينِي/ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَلَوْ يَحْتَوِينِي."[1]

ونقطف من جزئه الثاني:

"الشَّمْسُ فِي الْحَجَرِ الْمُقَدَّسِ وَالْكَبِيرِ كَبُرْتُقَالَةْ/ وَالشَّمْسُ حَبَّةُ بُرْتُقَالَةْ/ وَالطِّفْلُ يَحْفِلُ بِالصِّدَامِ إِلَى الْخَلَاصْ/ وَيُلَوِّنُ الْأُفُقَ الْمُدَجَّجَ بِالْعِصِيِّ وَبِالرَّصَاصْ/ طِفْلٌ كَبِيرْ/ طِفْلٌ بِعُمْرِ الْأَرْضِ وَالْوَطَنِ الْوَثِيرْ/ طِفْلٌ غَزَالْ/ عَرَفَ النِّزَالْ/ وَهَوَى عَلَى رَأْسِ الْحُثَالَةْ/ دَمُهُ هُنَا../ دَمُهُ هُنَاكْ../ دَمُهُ عَلَى قَدَمِ الْغَزَالَةْ."[2]

ومن جزئه الثالث نقطف:

[1] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الأول. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص121.

[2] المصدر السابق. ص159-160.

"الْحُزْنُ فَصْلٌ فِي شُرُودِ الذِّهْنِ نَحْوَ الْمُسْتَحِيلْ/ وَالْحُزْنُ أَمْسُ الْيَوْمِ/ يَوْمُ الْأَمْسِ/ تَضْمِينُ الْحَيَاةِ بِوَرْدَةٍ حَجَرِيَّةٍ/ تَنْمُو عَلَى يَأْسِ الدَّلِيلْ/ بَوْحٌ مِنْ الشَّكِّ اللَّزِجْ/ طَوْقٌ مِنَ الْإِسْفَنْجِ حَوْلَ تَشَتُّتِ الرُّوحِ الْأَسِيرَةْ/ شَيءٌ مِنَ الْوَقْتِ الْمُفَصَّلِ فِي هُبُوطِ الْعُمْرِ/ فَوْقَ كَمَائِنِ الْقَبْرِ النَّحِيلْ."[1]

الديوان السادس: "لظلالها الأشجار ترفع شمسها"

نشر هذا الديوان في العام 1996، وهو ديوان وطني سياسي بامتياز، تناولت قصائده مجموعة من الموضوعات، يقول في إحدى قصائده:

مَالَتْ حُرُوفُ الْيَوْمِ عَنْ أَمْسٍ بَعِيدكِ الزَّاوِيَةْ../ مَالَ الْكَلَامُ عَنِ الْكَلَامِ، عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى الْفَرَاغِ، إِلَى احْتِمَالٍ-مُؤْلِمٍ/ لِبَنَفْسَجٍ فِي رِقَّةِ الشُّهَدَاءِ أَنْ غَابُوا لَنَا../ مَاذَا إِذَا عَادُوا لَنَا/ هذَا المَسَاءَ عَلَى نَهَارٍ مُعْتِمٍ/ فَيَرَوْا السِّوَارَ يَضِيقُ حَوْلَ الْعَافِيَةْ؟/: فِيمَ اخْتَلَفْنَا يَا شَبِيهِي فِي حِوَارِ الْمُبْتَدَا؟/: حَوْلَ اخْتِلَافِ الْقَافِيَةْ."[2]

الديوان السابع: "كلام مرايا على شرفتين"

نشر هذا الديوان في العام 1997، وهو يشتمل على قصائد وطنية سياسية، وقصائد ذاتية، وفيها يتحدث الشاعر عن تجربته الشعرية الذاتية مع القصيدة الأولى، وكيف أن فتاة ألهبت مشاعره فانطلق يصدح شعرًا، ثم توارت ملهمته وظلّت موهبته. يقول:

"جَلَسَتْ حُرُوفٌ فَوْقَ أَوَّلِ رِحْلَةٍ لِلْقَلْبِ.. شِئْتُ رِسَالَةً/ أُولَى لَهَا/ شَاءَتْ قَصِيدَةٌ أَنْ تَجِيءَ بِزِيِّهَا الزَّغَبِيِّ فِي الْخَطِّ الْخَجُولْ/ هِيَ قِصَّةٌ أُولَى.. افْتَعَلْتُ فَرَاشَةً/ كَيْ تَلْحَقَ الضَّوْءَ الَّذِي يَنْسَابُ مِنْ شَجَرِ الْحُقُولْ/ فَإِذَا اشْتِعَالِي حَالَةٌ

[1] المصدر السابق. الجزء الثاني. ص226-227.

[2] المصدر السابق. الجزء الثاني. ص619.

ضِدَّ الرُّؤَى/ وَإِذَا اشْتِعَالِي مَنْظَرُ الْوَرْدِ الَّذِي/ يَنْسَابُ فَوْقَ المَاءِ نَحْوَ السَّائِرَةْ."[1]

الديوان الثامن: "كتاب المنادَى"

إن ديوان "كتاب المنادَى" هو سيرة الشاعر الشعرية، حيث أكد الشاعر ذلك بقوله:" إنني أستطيع القول إن ديوان "كتاب المنادَى" جاء تدوينًا لما يقترب من مسيرتي الذاتية."[2]

وقد صاغ الشاعر ديوانه هذا بلغة غير نواحة بعيدة عن الاحتفالية، أخذت انسيابها من طبيعة مواضيعها التي ارتبطت بها معالجة ومجادلة في شيوع حروفها المتحركة وكلماتها المتدفقة المزينة بفسيفساء الشعور الجميل[3]، ومن شعره في هذا الديوان:

"تُلْقِي عَلَيْهِ رَبِيعَ رَغْبَتِهَا إِلَى شَايِ المَسَاءْ/ وَكَسَاحِرٍ مُتَمَاثِلٍ/ يَتْلُو عَلَيْهَا مِنْ يَدَيْهِ حُرُوبَهُ/ فِي يَوْمِهِ الْغَجَرِيِّ/ فِي فَوْضَى المُكُوثِ عَلَى سَفَرْ../ يَنْسَى الْإِنَاءَ عَلَى حَرَارَةِ لَمسِهِ،/ وَيُسَرِّحُ الْأَفْعَالَ وَالْأَسْمَاءَ مِنْ إِغْمَاضِهَا،/ وَخُيُولَ فُسْحَتِهِ الْبَعِيدَةْ،/ وَكَشَاعِرٍ فِي رَقْصِهِ الْعَفَوِيِّ حَوْلَ مَدَارِهِ/ رَشَفَ الْبُخَارُ عَنِ الرُّسُومِ وَكُوبِهَا/ فَرَأَتْ مَلَامِحَهَا الْوَحِيدَةْ."[4]

وقد حظي هذا الديوان الذي نشر في العام 1998 باهتمام عدد من الباحثين وبالذات المغاربة والتونسيين والعراقيين والسوريين[5]، وفي معرض تعليقه على هذا الديوان يقول تحسين يقين: "حقيقة، إننا أمام نفس شاعرية، أجمل ما فيها البوح بالقلق، والاهتمام بجوهر الحياة رغم متطلبات الحياة اليومية القاسية التي تضغط على الشاعر... مما يميز

[1] المصدر السابق. الجزء الثاني. ص539.

[2] حسونة: خليل: ضفاف الأنثى: 168.

[3] المصدر السابق: 168.

[4] المصدر السابق. الجزء الثاني. ص761.

[5] مجموعة من الكتاب: ظلال الرقص- دراسات في شعر محمد حلمي الريشة. المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، 2004م.

النفس الريشية هنا أيضًا هو اهتمامها بالجماليات: الصور الشعرية وموسيقى الشعر والقافية المميزة بالحيوية والبعد عن التكلف..."[1]

ويقول محمد النصار في حقه: وبعد، فهذه ملاحظات انطباعية ذوقية عامة عن "كتاب المنادى" لشاعر أرى أنّه مكتظ، وينطوي على الكثير الكثير، وهو أيضًا يقدم أنموذجا شعريا مميزا "بوعي حداثوي" يدرك أبعاد التجربة الشعرية وعناصرها..."[2]

الديوان التاسع: "خلف قميص نافر"

حيث يجسد الشاعر في ديوانه هذا ملامح التغيرات والتحولات في المجتمع، حيث تمت هذه التغيرات استجابة لحسابية العصر.

ومن قصائده في هذا الديوان الذي يتألف من جزأين، ونشر في العام 1999 قصيدة بعنوان "تأويلات امرأة من زجاج طري"[3] حيث بين أن المرأة ليست سلعة، إنها تجمع بين التأمل والعمل، وكأنها تقول لرجلها: أنا النار وأنت الشرارة، وهذه وتلك مصدر طاقة لا تنضب. يقول فيها:

"هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ زُجَاجٍ طَرِيٍّ/ أَعَدَّتْ؛ خَرَائِطَهَا خَلْفَهَا شَهْقَةً فِي الرَّمَادِ النَّقِيضِ/ بِفَكَّيْهِ لِلْمَرَّةِ الْمُنْكَرَةْ./ هُوَ انْسَلَّ مِنْهَا إِلَيْهَا/ كَشَوْكَةِ حَلْقٍ مَرِيضٍ؛/ رَأَى الْوَحْشَ فَاكِهَةً، تَحْتَ صَحْرَائِهَا، صَابِغًا وَجْنَتَيْهِ/ بِحَالَاتِ شَهْوَتِهِ الْمُضْمَرَةْ./ هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ زُجَاجٍ طَرِيٍّ/ هُوَ الْفَارِقُ الْغَضُّ؛/ بَيْنَ (النَّبِيِّ) النَّقِيِّ.. وَ.. بَيْنَ (النَّبِيِّ) الشَّهِيِّ."[4]

---

[1] المرجع السابق. ص 169.

[2] المرجع السابق. ص 156.

[3] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثالث. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص856.

[4] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثالث. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص856-857.

الديوان العاشر: "هاويات مخصّبة"

حيث ترجم فيه موقفًا "ما" حيال النظام الاجتماعي القائم والمبتغى نقدًا أو أملاً واتجاهًا، يستولد من صلب العمل الفني من كونه صورة للحقيقة، دون أن يحشر الشاعر أنفه كي يملي حكمة...

وقد عكف على دراسة هذا الديوان عدد من الباحثين تراوحت آراؤهم بين النقد[1] والإعجاب[2]، فمما قيل فيه: ومن قصائد هذا الديوان قصيدة "منازل الجرح الفاتن" حيث وفق الشاعر في كل قصائده امتطاء صهوة اللغة وتطويعها تمامًا، فعجنها وشكّلها وقولبها حسب الأحجام الروحية والفكرية، التي يريدها... وربما يكون مع حسين البرغوثي وآخرين صاحب مدرسة متميزة تنتهج هذا الفعل الإبداعي الجديد..."[3]

في قصيدة "منازل الجرح الفاتن" يقول:

"هُنَا كُلُّ شَيْءٍ،/ وَلَا شَيْءَ فِي أَيِّ شَيْءٍ شَهِيٍّ سِوَى أَنْتِ وَحْدَكِ/ بَيْنَ ا ل أَ صَ ا بِ عِ/ [أُفَتِّشُهَا- فَارِغَةً مِنْ ظِلَالِكِ]/ أَيْنَ أَصَابِعُكِ الْآنِيَةُ؟/ زَهْرَةُ الْيَاسَمِينِ بَيْنَ انْحِنَاءَيْنِ مُنْتَظِرَيْنِ؟/ دِلْتَا لِطَعْيِ الظَّهْرِ نَحْوَ قَرَارٍ مَكِينٍ؟/ وَقَلْبُكِ- نَحْوَ لَوْنِ الْقَلْبِ- هُنَا مَطْلَعِي؛/ مَلِيءٌ بِعُصَارَةٍ جَامِدَةٍ، وَقُوَّةٍ لِاصْطِحَابِكِ/ كَيْ لَا أَضَلَّ/ وَلَا أَشْقَى؟"[4]

الديوان الحادي عشر: "أطلس الغبار"

وقد استوحى الشاعر عنوانه من اجتياح قوات الاحتلال لمدينة نابلس في العام 2002م حيث دمروا عددًا من البيوت في نابلس القديمة، فامتلأت سماء المدينة بالغبار المتصاعد

[1] ظلال الرقص: 94.

[2] المصدر نفسه: 169.

[3] حسونة: خليل: ضفاف الانثى: 186.

[4] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثالث. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص1009-1010.

من تلك البيوت المهدومة، ومن قصائده في هذا الديوان قصيدة "المُذْبِحَة" وهو يقصد مدينة نابلس، وفيها يقول:

"أَقُولُنِي:/ دَعْنِي، أَيُّهَا الشِّعْرُ، أَنْظُرْ مِنْ فَوْقِ كَتِفَيَّ دَونَ أَنْ أَرَاكَ:/ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْتَ/ عَلَى وَقْفِ مُذْبِحَةٍ فِي تُرَاثِ الضُّلُوعِ/ أَوْ عَلَى الْحُضُورِ ضِمْنَ تَقْوِيمِ مَشْتَهَى/ أَوْ عَلَى خِيَانَتِي../ تُبْ إِلَيَّ/ وَقَبْلَهَا../ أَعْطِنِي مِرْوَحَةَ صَوْتِكَ كَيْ أَطْرُدَ غُبَارَ عَثَرَاتِي/ أَوْ.. أَطْرُدَنِي."[1]

وقد نشر ديوانه المذكور في العام 2004م.

الديوان الثاني عشر: "مُعجم بِكِ"

ويتألف هذا الديوان من ثلاثة أجزاء هي:

الأول: وعنوانه: ما بعد.

الثاني: وعنوانه: ما قبل.

الثالث: وعنوانه: جويس.

وعنوان الديوان محرّف عن "مُعْجَبٌ بِكِ"، وكل قصيدة فيه معنونة بكلمة واحدة وذلك مثل: لألأة، حواس، أشياء، نشيش... وهكذا.

وقد نشر الديوان في العام 2007م. ومن أجوائه نقرأ:

"كِتَابَانِ نَحْنُ؛/ بِوَرَقَةٍ وَاحَدِةٍ/ لِمَوْضُوعٍ وَاحِدٍ:/ أُحِبُّكَ../ بِكَافٍ مَفْتُوحٍ هُوَ أُفُقُنَا،/ وَذَاتُهُ بِالْكَسْرِ انْحِنَاءً فِي الْعُبُورِ."[2]

[1] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثالث. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص1158. وقد دُرِسَ هذا الديون من قبل مراد السوداني في: مرايا الصهيل الأزرق: 265.

[2] محمد حلمي الريشة: الأعمال الشعرية- الجزء الثالث. بيت الشعر الفلسطيني، رام الله، 2008م. ص1204.

الديوان الثالث عشر: "كأعمى تقودني قصبة النأي"

يشتمل هذا الديوان، بالإضافة إلى النصوص الشعرية، ما يشبه بيان الشاعر عن الشاعر، وبيان الشاعر عن الشعر، فالشاعر هنا يخاطب القصيدة مرة ويخاطب الشاعر مرة ثانية، فمن ذلك قوله:

"أَيَّتُهَا القصِيدَةُ/ لَنْ تَكُونِي بِدُونِ عَاطِفَةِ الشَّاعِرِ اللُّغَوِيَّةِ../ كُلُّ ذَاكَ الرُّكَامِ الْجَافِّ لَيْسَ أَنْتِ،/ مَهْمَا نَزَفَتْ قَدَاسَةُ الْفِكْرَةِ../ السَّيْفُ لِلشَّرِّ، وَالطَّيْفُ لِلشِّعْرِ."[1]

"أَيُّهَا الشَّاعِرُ../ يَذْهَبُ بِكَ حَاضِرُ الْغِيَابِ إِلَى غِيَابِ الْحَاضِرِ../ ثَمَّةَ سَكِينَةٌ غَيْرُ مُطْمَئِنَّةٍ لِجَدْوَاهَا/ قَاسٍ هُوَ النَّوْمُ فِي اسْتِيقَاظِ الْغَبَشِ../ تَحَسَّسْ خُيُوطَ الْمِرْآةِ الَّتِي تَتَجَدْوَلُ حَرِيرَ أَبَدٍ../ مِنْ دَوِيِّ صَمْتِكَ يَنْبَلِجُ صَوْتُ الْقَصِيدَةِ."[2]

وفي هذا الديوان الذي نشر في العام 2008 تبرز عودة الشاعر إلى كتابة قصيدة التفعيلة، بالإضافة إلى قصيدة النثر.

الديوان الرابع عشر: "قمر أم حبة أسبيرين"

ويتألف هذا الديوان من جزأين، ودلالة العنوان تشير إلى علاقة الشاعر مع مرض القلب، على أساس التشابه الشكلي إلى حدٍ ما، بين القمر وحبة الأسبرين، وقد استوقف هذا العنوان كثيرًا من الباحثين، ومنهم د. أسماء غريب، التي كتبت مقاربة نقدية للديوان، وأسهبت في قراءة العنوان. "العنوان وحده نصّ مجنون وراقص لطفل يتقصى الشفاء من داء أو من صداع ما، فما داؤك أيها الشاعر، وأينه إكسير شفائك؟"[3].

[1] محمد حلمي الريشة: كأعمى تقودني قصبة النأي. إصدار خاص بالتعاون مع بيت الشعر في فلسطين، رام الله، 2008م. ص17.

[2] المصدر السابق. ص140.

[3] محمد حلمي الريشة: قمر أم حبة أسبيرين. فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

ونجد في هذا الديوان قصائد تتحدث عن مرض الشاعر بالقلب، وعن ذم المحبوبة، وتجارب الشاعر في كتابة شعر الهايكو الياباني باللغة العربية، إضافة إلى حديثه عن طفولته، ومراهقته، وبدايات نظمه للشعر...

"الرَّسَامُ بِالكَلِمَاتِ؛ يَهْجُرُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا اليَرَاعَ الفُرْشَاةَ، وَالأَلْوَانَ الأُفُقَ، وَالقِمَاشَ الإِيقَاعَ، أَمَّا الأَوْرَاقُ الإِطَارَاتُ، فَيُجَنِّحُهَا إِلَى حَيْثُ شَاءَتْ."[1]

وقد نُشِر هذا الديوان في العام 2011م.

الأعمال الشعرية:

جمع الشاعر دواوينه ونشرها في مجموعة واحدة تحت عنوان "الأعمال الشعرية" وتقع في ثلاثة مجلدات، شملت اثنى عشر ديوانًا، ولم تشمل الديوانين:

1. كأعمى تقودني قصبة النأي.
2. قمر أم حبة أسبرين.

حيث قام الشاعر بنشر هذه المجموعة في العام 2008، في حين نشر الديوانين بعد ذلك كما بيّنّا.

وقد قدّمت هذه المجموعة الشاعرة والباحثة السورية سمر محفوض، حيث كتبت:

"مُحَمَّد حِلْمِي الرّيشَة شَاعِرٌ يُفَكِّرُ بِالصُّورَةِ المَشْحُونَةِ، لِيُؤَكِّدَ أَنَّهُ ذُو انْتِبَاهَةٍ لَاقِطَةٍ دَقِيقَةِ المُلَاحَظَةِ، بِآلَفٍ كَوْنِيٍّ طَازَجٍ عَلَى امْتِدَادِ زَمَنِ الْكِتَابَةِ وَالْحَيَاةِ، بِهذَا الشَّكْلِ وَالْبَهَاءِ الصَّمِيمِيّ يَتَنَاوَبُ الْإِيقَاعَ، لَا نَجِدُ عَلَى مَسَارِ المَجْمُوعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ كُلِّهَا جُمَلاً ذِهْنِيَّةً مَحْضَةً، أَوْ لَا تَتَّصِلُ بِانْفِعَالِهِ وَعَاطِفَتِهِ بِتَنَوُّعِهَا، إِضَافَةً إِلَى الصُّورَةِ الْجَدِيدَةِ ذَاتِ التَّأْوِيلِ؛ كَهُوِيَّةٍ لِوَقْتٍ مُفْتَقَدٍ، يُنَاجِي الشَّغَبَ الْحَمِيمَ عَلَى حُلُمٍ، وَالْجَسَدَ المُخْتَلِجَ بِرَوَائِعِهِ المَنْسِيَّةِ، يَسْتَفِيقُ مِنَ النَّبْضِ حَتَّى النَّبْضِ؛ مُتَوَّجًا بِطَيْفِ الْقَصِيدَةِ، وَمَخْمُورًا بِالانْبِهَارِ، وَتِلْكَ هِيَ إِحْدَى غَايَاتِ مَجْمُوعَاتِهِ الشِّعْرِيَّةِ، وَكَأَنَّهُ يَتَوَغَّلُ دَاخِلَ أَغْوَارِ نَفْسِهِ مُسْتَفِزًّا حَوَاسَّهُ، دُونَ أَنْ

[1] المصدر السابق. ص85.

يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّأَمُّلِ فِي المَنْهَجِ الَّذِي اسْتَطَاعَهُ لِتَوْلِيدِ المَعْنَى، لِيَحْلُمَ كُلٌّ مِنَّا بِالمَعْنَى الَّذِي يَشَاءُ."[1]

كما علّق على هذه المجموعة بكلمة مكثفة الشاعر محمد بنّيس حيث قال:

"فِي قِرَاءَتِنَا لِشِعْرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة نَتَوَقَّفُ قَلِيلاً، نَأْخُذُ النَّفَسَ وَنَحْنُ نَتْبَعُ أَثَرَ حَيَاةِ شَاعِرٍ فِلَسْطِينِيٍّ هَاجَرَ مِنْ خَارِجِهِ إِلَى دَاخِلِهِ، وَاضِعًا فِي مُقَدَّمَةِ الكَلِمَاتِ طُرُقَ العَذَابِ. فِي الهِجْرَةِ تَفَحَّصَ جَغْرَافِيَّةَ الأَرْضِ، وَفِي الهِجْرَةِ التَقَى بِوُجُوهِهِ عَبْرَ لُغَةٍ غَاوِيَةٍ حِينًا، وَلُغَةٍ تَبْحَثُ عَنْ ذَاتِهَا حِينًا آخَرَ. وَهُوَ، مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ، وَمِنْ وُجُوهٍ إِلَى وُجُوهٍ، يُعِيدُ تَشْكِيلَ جَغْرَافِيَّةِ الأَرْضِ، حَتَّى لاَ تَضِيعَ الأَرْضُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ. هِيَ أَرْضٌ لِجَسَدٍ، وَأَرْضٌ لِنَشِيدٍ جَمَاعِيٍّ أَتْقَنَ كِتَابَتَهُ شُعَرَاءُ تَوَحَّدُوا فِي أَثَرٍ مِنْ "بِلاَدٍ لاَ بِلاَدَ" فِيهَا، حَسْبَ عِبَارَةِ الشَّاعِرِ. غُرْبَةُ الرُّوحِ لَيْسَتْ مَا أَعْنِي، بَلْ غُرْبَةُ الوُجُودِ."[2]

أعمال أخرى للشاعر: للشاعر محمد حلمي الرّيشة أعمال أخرى ليست شعريّة، هي:

- زَفَرَاتُ الْهَوَامِشِ (2000).
- مُعْجَمُ شُعَرَاءِ فِلَسْطِين (2003).
- شُعَرَاءُ فِلَسْطِين فِي نِصْفِ قَرْنٍ (1950-2000) تَوْثِيقٌ أَنْطُولُوجِيٌّ/ بِالاشْتِرَاكِ (2004).
- الإِشْرَاقَةُ المُجَنَّحَةُ- لَحْظَةُ الْبَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ القَصِيدَةِ- شَهَادَاتٌ/ بِالاشْتِرَاكِ(2007).
- إِيقَاعَاتٌ بَرِّيَّةٌ- شِعْرِيَّاتٌ فِلَسْطِينِيَّةٌ مُخْتَارَةٌ- جزْءَانِ/ بِالاشْتِرَاكِ (2007).
- نَوَارِسٌ مِنَ الْبَحْرِ الْبَعِيدِ الْقَرِيبِ- المَشْهَدُ الشِّعْرِيُّ الجَدِيدُ فِي فِلَسْطِين المُحْتَلّةِ 1948/ بِالاشْتِرَاكِ (2008).
- مَحْمُود دَرْوِيش- صُورَةُ الشَّاعِرِ بِعُيُونٍ فِلَسْطِينِيَّةٍ خَضْرَاءَ/ بِالاشْتِرَاكِ (2008).
- مَرَايَا الصَّهِيلِ الأَزْرَق- رُؤْيَةٌ. قِرَاءَاتٌ. حِوَارَاتٌ (2010).

[1] المصدر السابق. ص8-9، وهناك قراءات ومراجعات ودراسات شملت تقريبًا كل أعمال شاعرنا الشعرية، حيث جمعها الشاعر في كتابٍ تحت عنوان: مرايا الصهيل الأزرق، ط أولى 2010.

[2] المصدر السابق. على غلاف الأعمال الشعرية.

الأَعْمَالُ المُتَرْجَمَةُ:

• لِمَاذَا هَمَسَ العُشْبُ ثَانِيَةً- مُخْتَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ مِنْ "مُشَاهَدَةُ النَّارِ" لِلشَّاعِرِ كِرِيسْتُوفَرْ مِيرِيلْ (2007).

• بِمُحَاذَاةِ النَّهْرِ البَطِيءِ- مُخْتَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ وَقَصَصِيَّةٌ (2010).

• مِرْآةٌ تَمْضُغُ أَزْرَارَ ثَوْبِي- مُخْتَارَاتٌ شِعْرِيَّةٌ لِشَاعِرَاتٍ مِنَ العَالَمِ/ بِالاشْتِرَاكِ (2011).

• أَدْخُلُ أَزرَقَ اللَّوْحَةِ فَيَسْحَبْنِي البَحْرُ- مُخْتَاراتٌ شِعْرِيَّةً لِشُعَرَاءَ مِنَ العَالَمِ (2013).

• الخَرِيفُ كَمَانٌ يَنْتَحِبُ- مُخْتَاراتٌ شِعْرِيَّةً لِشُعَرَاءَ مِنَ العَالَمِ (2013).

أعمال أخرى غير منشورة:

• وطني هناك يحده قلبي- مختارات شعرية فلسطينية في الثورة الجزائرية.

• قلب العقرب- سيرة شعر.

• ساناز داود زادة فر: أمشي على حروف ميتة، شعر مترجم.

• كتاب شعر مترجم لشعراء من العالم (لم يحدد بعد الاسم).

أَعْمَالٌ نَقْدِيَّةٌ صَدَرتْ عَنْ أَعْمَالٍ شِعْرِيَّةٍ لِلشَّاعِرِ:

• عَلاَء الدِّين كَاتِبَة: مَرَاتِبُ النَّصِّ- قِرَاءَةٌ فِي سِيرَةِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة الشِّعْرِيَّةِ. (2001).

• مَجْمُوعَةُ نُقَّادٍ وَكُتَّابٍ: ظِلاَلُ الرَّقْصِ- دِرَاسَاتٌ فِي شِعْرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة. (2004).

• د. خَلِيل إِبْرَاهِيم حَسُّونَة: ضِفَافُ الأُنْثَى- سَطْوَةُ اللَّحْظَةِ وَطُقُوسُ النَّصِّ- مُقَارَبَاتٌ فِي شِعْرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة. (2005).

• سَمَر مَحْفُوض: الحَرَائِقُ جِهَةٌ.. لِمَنْفَاهَا الجَمِيلِ الكَائِنَاتُ الشِّعْرِيَّةُ- قِرَاءَةٌ فِي الأَعْمَالِ الشِّعْرِيَّةِ لِلشَّاعِرِ مُحَمَّد حِلْمِي الرِّيشَة. (2008).

رابعًا: الرمزية في شعره

أودُّ بداية أن أقول: ليست الرمزية بدعة في أدبنا العربي، فقد عُرفت بعض أشكالها البسيطة في الشعر الجاهلي[1] وفيما تلا ذلك من عصور بدأت بالتعمق، وكان وراء ظهورها

[1] فالمقدمات الغزلية للشعر الجاهلي إنما هي رمزية كما يذهب د. نجيب البهيتي، فالغزل فيها لم يقصد بذاته. ينظر: درويش الجندي: الرمزية في الأدب العربي، دار نهضة مصر، ص169.

وشيوعها الخوف، والضغط الذي كان يجثم على النفوس فتتحايل التعبير لتسلم من الأذى، وتنجو من الضرر، فالكبت السياسي في العصر الأموي والعصر العباسي الأول نتيجة خوف العنصر العربي من العنصر الفارسي ووصوله إلى سدة الحكم وإعادة مجده القديم لذا (كان لا بد أن يتخذ التعبير الأدبي شيئا من الرمزية).

وكذلك الضغط الاقتصادي حيث تجلى في كثرة الضرائب المفروضة على الشعوب، لكي تعيش طبقة مترفة، أو لكي يبني السلطان قصرًا، ولا أصدق على ذلك من المثل الأندلسي القائل: (إذا وجدت الحاكم يضحك فاعرف بأني أبكي) وقد كان لهذا الضغط الاقتصادي أثره في انتحاء بعض المؤلفات الأدبية ناحية رمزية، أو الرغبة في إخفاء أسرار المجموعات على الأجانب[1] كما هو الحال في أشعار الفرق الصوفية، أو هي وسيلة لرد اعتبار الأساليب المبتذلة، وجذبها من دائرة الابتذال ومباشرة التعبير إلى دائرة الجدة.[2]

وما أن حلّ القرن الثالث الهجري حتى بدأ العلماء بوضع تعريف لها، ويعتبر قدامة بن جعفر في مقدمة المعرفين لها اصطلاحًا، فهي عنده "ما خفي من الكلام".[3]

ثم عرّفها ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة: "هي الكلام الخفي الذي لا يكاد يُفهم ثم استعمل حتى صار كالإشارة.[4]

والعربي بحكم حياته البسيطة، وبيئته الواضحة كان يميل إلى الوضوح الذي انعكس على أدبه، فخير الكلام عنده ما دلّ على معنى، وما أشار إلى مغزى[5]، إلا أن تأثره بالأمم الأخرى كالروم والفرس، وتغير نمط حياته من البساطة والسذاجة إلى التركيب والتعقيد، فإن هذا التغيير قد انعكس على الأدب بشقيه "الشعر والنثر"، فكان التلميح وكانت الإشارة والرمزية في الشعر الغزلي والسياسي... بخاصة وأن جمهرة الشعراء والأدباء كانوا يعيشون

[1]: درويش، الرمزية في الأدب العربي، ص45 و228.

[2] المرجع نفسه: 68 و229.

[3] قدامة بن جعفر: نقد النثر: ص61.

[4] ابن رشق القيرواني: العمدة.206/1.

[5] عمرو بن بحر الجاحظ. البيان والتبيين. 70/1.

في رحاب طبقة مترفة ناعمة، تحيا حياة مليئة بضروب التعقيد والتأنق والزخرفة في جميع جوانبها.[1]

ولم يكن فريق من النقاد ليقبل ذيوعها، فحاول الوقوف في وجهها وثني روّادها، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري: "لا خير في غرابة المعنى إلا إذ شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد."[2]

وكما اختلف النقاد قديمًا في شأن الرمزية في الأدب بين مؤيد ومعارض[3]، فإننا نجد اختلافًا في رمزية شاعرنا محمد حلمي الريشة، حيث انقسم دارسو أدبه إلى فريقين اثنين:

الأول: ويتمثل في عددٍ من الزملاء الباحثين الفلسطينيين، وعلى رأسهم د. عادل الأسطة، ففي معرض دراسته لديوان "هاويات مخصّبة"، يقول: إن الريشة حتى أثناء الانتفاضة يكتب شعرًا لا يمكن اكتشاف موضوعه بسهولة، إذ كتب أكثر أشعار المجموعة في فترة الانتفاضة، كما تقول لنا الأسطر الأولى... وهكذا لا يستطيع الناقد الاجتماعي أن يجد الكثير ليقوله وهو يقرأ أشعار الريشة التي تحتاج -ربما- إلى ناقد بنيوي، لأن البنيوية ترى الأدب كيانًا لغويًا مستقلاً، وتبحث عن أدبية الأدب."[4]

ومن هذا الفريق أيضًا، الشاعر المتوكل طه، فعندما وضع تقديمًا لعددٍ من الدراسات التي تناولت شعر الريشة قال: كنا كوكبة من الشعراء الذين أنبتتنا الضرورة... وكان شاعرنا محمد حلمي الريشة يهمس على غير سربنا، ما أبقاه بعيدًا قليلاً عن دائرة الضوء التي شملتنا، وربما كان شعره المتخافت قصدًا قد أنقذه من ملاحقة الاحتلال "وباستيلاته" المترامية في غير مكان."[5]

---

[1] درويش الجندي: الرمزية في الأدب العربي، 222.

[2] أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين. 57.

[3] الخفاجي: سر الفصاحة. 267.

[4] ظلال النص: دراسات في شعر محمد حلمي الريشة. د.م: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي 2004م: 98-99.

[5] المرجع السابق. 98-99.

أما الفريق الثاني: فيمثله مجموعة من الباحثين المغاربة والتونسيين والسوريين، وقد انضم إليهم عدد من الباحثين الفلسطينيين، أما بالنسبة للمغاربة والتونسيين فقد أعجبوا بهذه الرمزية أيما إعجاب، ووجدوا فيها ضالتهم ومبتغاهم، فسطروا في شعره الصفحات الطوال مدحًا وثناءً، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الناقد التونسي عبد الوهاب الملوّح، ففي دراسة له بعنوان: "إشراقات الذات المتوجسة" يقول: والأكيد أن الريشة بهذه الأعمال يدشن طورًا آخر من أطوار الشعر الفلسطيني الحديث، طورًا بعيدًا كل البعد عمّا أسسه الرواد الأوائل، ومن تلاهم من المعاصرين، وهو طور يعمل أساسًا على عدم الركون إلى البديهات... إنه من جيل جديد من الشعرية العربية، ينهض ليعيد تأسيس الذائقة العربية..."[1]

ومنهم، أيضًا، حسين اللّهواني، حيث يقول في معرض توقفه عند ديوان "المنادى" وعددٍ من الدواوين للريشة: "والحقيقة أن الريشة في قصائده يقود لغته وبالتالي قارئه إلى فضاءات لا متناهية إلى عوالم مجهولة متشابكة... مفردات الجملة الشعرية ينتقيها الريشة إذًا بعناية، وكما هي قوية الإيحاء والدلالة فإنها بسيطة التركيب، ولا يحتاج المرء لثقافة واسعة حتى يكشف سلاستها..."[2]

أما بالنسبة للفلسطينيين الذي أعجبوا برمزيته فنتوقف عند د. خليل حسونة، الذي وضع كتاب "ضفاف الأنثى" مقاربات في شعر محمد حلمي الريشة، حيث يقول: "تداهمنا أفكار الشاعر عبر قصيدته بلغة ثرية قاسية لا تنبثق فقط عن براعة أو ذكاء- بل أيضًا- عن تجربة كيانية لا تهدأ..."[3]

وإزاء هذا لم يقف الشاعر بعيدًا عن أقوال المهاجمين لرمزيته بل حاول في حواراته ومناقشاته أن يدافع عن شعره، ومما قاله: منذ عملي الأول اشتكى كثير من القراء بسبب

[1] المرجع السابق. 89.

[2] المرجع السابق. 159-160.

[3] خليل إبراهيم حسونة: ضفاف الأنثى. 79، وينظر أيضًا: محمد حلمي الريشة: مرايا الصهيل الأزرق: 135.

غموض وعدم فهمهم شعري، فاضطر إلى شرح رؤيتي الشعرية، لا شعري، لأن الشرح يفسد الشعر... وهذا يُعْدِم بوحشية الجمال الكلي للقصيدة كما تفتيت وردة... وكثيرًا ما كان يتمثل بقول الشاعر المجدد أبي تمام عندما انبرى له أحد المستمعين لشعره قائلاً: لماذا لا تقول ما يُفهم؟ وكان جواب الشاعر: ولِم لا تفهم ما يُقال؟[1] فشاعرنا لا يريد من القارئ أن يكون متلقيًا لأن التلقي جريمة وآفة. علاوة على هذا فإن شاعرنا يضع داخل كل نص مفتاحًا يفك مغاليقه "وعلى القارئ أن يبحث عن بيت القصيد/ عن سطر القصيدة."[2]

وإخال هنا أن الصواب لم يجاف الزميلين عادل والمتوكل في موقفهما فرمزية الشاعر محمد مشهورة، وشعره حافل بالمعاني والتشبيهات الغامضة، فشعره كما يرى د. عادل بحاجة إلى ناقد بنيوي، ونحن في فلسطين لم نقف طويلا عند البنيوية ولم نتعامل مع الشرح والنقد البنيوي إلا منذ فترة قريبة، ولهذا لا نجد الكثير لكي نقوله، أما بالنسبة للأخوة المغاربة فلعل إعجابهم برمزيته نابع من كونهم أكثر تعاملاً مع البنيوية والرمزية، وذلك بحكم قربهم من فرنسا – فالرمزية كحركة أدبية تميزت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر – واتصالهم بهم، وبحكم الاستعمار الفرنسي للمغرب مما أتاح للمغربيين التأثر بالآداب الأوربية، بشكل عام، والأدب الفرنسي بشكل خاص، وعليه فهم اكثر توفيقا في التعامل مع رمزية الشاعر.

تطوير الرمزية عند الشاعر:

بداية لا أعني بالتطور التقدم، أو انتقال الشاعر من الرمزية إلى الصراحة أو المكاشفة، وإنما قصدت المراحل التي مرت بها رمزية الشاعر، ولعل المطلع على أعمال الشاعر، يلحظ أن رمزيته مرت في ثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: حيث كانت رمزيته مستقاة من الواقع الفلسطيني ومكوناته، فالشاعر في بداية تجربته الشعرية كان يلاحظ بيئته ومكوناتها، وبالتالي سخر تلك المكونات في قصيدته

[1] الخفاجي: سر الفصاحة. 267.

[2] مقابلة شخصية مع الشاعر.

كدلالات فلسطينية، وذلك كحديثه عن الزعتر الذي تمتاز به فلسطين، وعن الخيمة، والأسلاك الشائكة وغيرها، ومن ذلك قوله:

دهمتني أوْصافُ الأشباح/ لكِنّي أتَناولُ عِشقًا/ نثراتُ الزعترِ لا تبرحُ زادي،/
فالعُرْسُ على السورِ الشائِكْ/ يتزاوجُ في ريحِ الخيمةِ/ بالوطنْ المعني بالأمرْ. 63

فما زال الشبح (الإسرائيلي) يجثم على صدور الفلسطينيين، يقابله تمسك الإنسان الفلسطيني بأدنى مقومات الحياة من منتج زراعي فلسطيني معروف كالزعتر الذي لا يبرح زاده، والفلسطيني على الرغم مما تعرض له من تهجير وتشتت وسكناه في خيمة متواضعة، مازال متمسكا بالحياة، يقيم أفراحه قرب الأسلاك الشائكة التي تفصل بين الضفة الغربية وفلسطين التاريخية.

ولعل اسم القصيدة التي أخذ منها هذا المقطع (زمن الشدة)، ليدل دلالة واضحة على ما ذهبنا إليه.

والقصيدة بالجملة تضم رموزا مستوحاة من الواقع الفلسطيني، فالثورة (شمس) وأمل الفلسطيني، و(الجرح) الدامي هو كل ما يزرعه الإسرائيلي في الجسد الفلسطيني، و(الزيتونة) مازالت زاد الفلسطيني وعروس مائدته، ورمز وجوده.

المرحلة الثانية: وفي هذه المرحلة انتقل الشاعر إلى مكونات أرحب، وآفاق أوسع، فاتجه في شعره إلى البيئات العربية الشقيقة، فبدأنا نقرأ (النيل) وما يحمله من رمزية للعطاء والاستمرار والبقاء، و(الناب) رمز الفراعنة، و(كائنات الليل) وترمز إلى خضوع القرار المصري للضغط الأمريكي، و(النهران) ويعني دجلة والفرات، و(الأقفاص) ويعني الحصار المشدد الذي فرضه العالم على العراق، ووقوف الشعب الفلسطيني إلى جانب أشقائه العراقيين، ومن ذلك قوله في قصيدة بعنوان:

نهران مرا في دمي:/ أ أتركُ شهوة للقتلِ في جسدي/ و أزأرُ نحوَ فيضِ الحزن/
وأرسمُ نهرَكِ الغَسقي/ يغلي في ثنايا الجسم/ أنا الأغصانُ حين تمدُّ شَهوتها/
ويقظتها من الأقفاص/ تورقُ في نتوءِ الصبح 64

ومن ذلك قصيدة أخرى بعنوان: (لن يقتلوا فيكَ الحياة) حيث يقول فيها:

هل قلتَ للنيلِ: انتظرني/ خارجَ الأسوارِ/ قرب الاغتراب؟/ هل قلتَ للجلادِ:
ما نفعُ العذابِ مع العذابْ ؟ 65

المرحلة الثالثة: أكثر الشاعر في هذه المرحلة من الرموز العالمية الإنسانية، حيث انفتح على الثقافات الأخرى لأيمانه أن الشعر حالة إنسانية لا تخص منطقة دون أخرى، ولا شعبا دون آخر، ولا جغرافية دون أخرى، ولكنها في الوقت نفسه تناسب الواقع الإنساني، فمن ذلك قصيدته إلى الشاعر الأمريكي (ألن غنسبرغ) حيث كان متمردا على السياسات الأمريكية الخارجية، وأبرزها انتقاده للحرب الأمريكية الفيتنامية، حيث كتب ألن قصيدة بعنوان (عواء) وفيها يقبح هذه الحرب، ويذكر الويلات التي جرتها على الشعبين، وعند وفاته أهداه الريشة قصيدة بعنوان: (ارحلْ... ودَعْ الآنَ ما يخُضُ العواء) 66 حيث ربط الشاعر بين ما نادى به ألن، وما تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، مستخدما رموزا من البيئة الأمريكية، ومنها: (سيد في الأعالي) حيث تنظر أمريكا إلى نفسها أنها سيدة العالم، وقد وردت هذه التسمية ست مرات.

ومما يدل على انفتاح الشاعر على الآداب العالمية انه كتب مجموعة قصائد في: كولن ولسون وآرثر زامبو، ولوي أراجون، وشارل بودلير، ولوتر يامون وغيرها من الشخصيات الأدبية 67 وقد يكون دافع الريشة إلى هذا النهج، أن أي نص شعري يجب أن يكون مبنيا على نص معرفي، فمخاطبته لشعراء أجانب كانت بعد دراسة شعرهم والوقوف على حياتهم.

والريشة كغيره من الشعراء الرمزيين الذين يجدون في الشعر الرمزي دلالة جمالية لا تتوفر في الشعر الصريح، فالمعاني الرمزية أكثر وقعا في النفوس من المعاني المباشرة، خاصة وأن القارئ لها يتوصل إلى كنهها بعد عناء، فكأن إدراكها رياضة للذهن، وهذا في حد ذاته احترام لذات القارئ وعقله، فكأني بشعراء الرمزية يقولون للقارئ: هذا مجالك لكي تفكر، لكي تجتهد، لكي تؤول.... أما المعاني الصريحة فقد أصبحت مستهلكة لكثرة تكرارها

وتناولها، فغدا القارئ يعرف ما سيقول الشاعر قبل أن ينبس ببنت شفة، وقديما قال العرب: (أعذب الشعر أكذبه) وليس المقصود هنا الكذب الحقيقي، وإنما المقصود لا معقوليته، وتعلقه بالخيال والافتراض.

إلا أنني في الوقت نفسه لا أرى الرمزية جميلة أو مجدية إذا كانت موغلة في الغموض، بحيث يقف القارئ عاجزا عن فهم المضامين المقصودة، وأقلها أن يترك الشاعر مفتاحا لحل كنهها والولوج إلى أعماقها واعتقد أن شاعرنا محمد الريشة لجأ إلى هذا الأسلوب، ففي قصيدته (الكمائن) والتي تحدث فيها عن الحواجز العسكرية الإسرائيلية بين المدن الفلسطينية والتي ازدادت وتيرتها إبان الاجتياح الإسرائيلي مدن فلسطين، ترك مفتاحا للقارئ فمن ذلك قوله:

الكمائِنُ مزهوةٌ بالأمانِ المُمَعْدَنْ 68

فالأمان الممعدن: هو آلة الحرب الإسرائيلية من دبابة وغيرها، و كقوله:

أيها القادمونَ داخل "حصان طُروادة" آخر:

فحصان طروادة معروف، والاستعمار استعمار مهما تعددت صوره وأشكاله، وسواء أقدم على حصان أو على دبابة.

63 الأعمال الشعرية: 1 / 47.

64 الأعمال الشعرية: 1 / 289 – 290.

65 الأعمال الشعرية: 1 / 270.

66 الأعمال الشعرية: 2 / 745.

67 الأعمال الشعرية: 2 / 822.

68 الأعمال الشعرية: 3 / 1100 و 1101

المصادر والمراجع

1. الريشة، محمد حلمي. **الأعمال الشعرية**. رام الله: بيت الشّعر الفلسطيني، 2008.
2. الجاحظ، عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. تحقيق عبدالسلام هارون. د.م: د.ن، 1968.
3. الجندي، درويش. **الرمزية في الأدب العربي**. مصر: دار النهضة، 1956.
4. الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن سنان. **سر الفصاحة**. د.م: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
5. حسونة، خليل إبراهيم. **ضفاف الأنثى- سطور اللحظة وطقوس النص- مقاربات في شعر محمد حلمي الريشة**. القدس: منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 2005م.
6. مجموعة من الباحثين. **ظلال الرقص- دراسات في شعر محمد حلمي الريشة**. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2004.
7. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق. **العمدة في صناعة الشعر ونقده**. تحقيق محي الدين عبدالحميد. القاهرة: د.ن، د.ت.
8. الريشة، محمد حلمي. **قلب العقرب- سيرة شعر** (قيد الطباعة).
9. الريشة، محمد حلمي. **قمر أم حبة أسبرين**. عمان: فضاءات للنشر والتوزيع، 2011.
10. الريشة، محمد حلمي. **كأعمى تقودني قصبة النأي**. رام الله: إصدار خاص بالتعاون مع بيت الشعر الفلسطيني، د.ت.
11. البخاري، علي، محقق. **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952.
12. **مرايا الصهيل الأزرق**. قراءات. حوارات لمجموعة من الباحثين في شعر محمد حلمي الريشة. ط. 1. إصدار خاص، 2010.
13. ابن جعفر، قدامة. **نقد النثر**. تحقيق كمال مصطفى. القاهرة: د.ن، 1963.